26-10-2013

الشيخ جمال الدين سيروان

الباب الخامس في حد الزنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين صلّ اللهم وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم اغفر لنا يا غفور، وارحمنا يا رحيم، وتب علينا يا تواب ربنا تب علينا حتى نتوب، اللهم تب علينا توبةً نصوحا لا ننقض عقدها أبدا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اقبل توبتنا واغسل حوبتنا واغفر ذنبنا، واستر عيبنا، واقض اللهم حوائجنا، وفرّج ربنا همومنا، ونفّس يا إلهنا كروبنا اللهم يا مفرج الكروب، يا غفار الذنوب، يا ستّار العيوب، يا قاضي الحاجات، يا مفرّج الكربات، يا سامع الآهات والأنات، يا من ترى مكاننا، يا من تسمع كلامنا، يا من لا يخفى عليك شيء من حالنا، نسألك اللهم وأنت ربنا لا رب لنا إلا أنت، ولا إله لنا سواك، أنت مالك الملك، أنت مقدر الأمر، أنت خالق الخلق، أنت الله، لا إله إلا أنت، سبحانك نسألك اللهم يا ربنا فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا اللهم نسألك فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا ربنا سدّت السبل يا أرحم الراحمين، نسألك اللهم أن تفتح علينا فتوح العارفين افتح علينا فتوح العارفين، وانصر يا ربنا فنحن مستضعفون اللهم انصرنا بنصرك، وأعزنا بعزك، وأعطنا من عطائك، وأفض علينا من فيضك، وارحمنا برحمتك، وتغمدنا بلطفك يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، من لنا إلا أنت سبحانك يا ربنا اللهم لقد علا الظالمون علينا، نسألك اللهم أن تكشف همنا، وأن تفرج كربنا يا أرحم الراحمين، نسألك بالأيامى واليتامى، ونسألك بالأطفال الرضّع، بالشيوخ الركّع نسألك بالمرضى، نسألك بالعاجزين، يا ربنا يا معين العاجزين يا رب الضعفاء والمساكين لا باب لنا إلا بابك ولا محراب لنا إلا محرابك اللهم إنا نسألك وقد خضعت قلوبنا بين يديك وذلّت رقابنا إليك نسألك اللهم وأنت ربنا لا رب لنا إلا أنت يا إلهنا لا نشكو أمرنا إلا إليك اللهم نشكو إليك أمرنا، ونشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، وأنت ربنا ورب المستضعفين يا من تكلنا إلى بعيد يتجهمنا، أم إلى عدوٍ ملكته أمرنا يا ربنا، نسألك وإن لم يكن بك غضب علينا يا أرحم الراحمين، فلا نبالي يا رب ونسألك يا ربنا أن تلطف بنا فيما جعلت به التقادير، دبّر لنا فإنّا لا نحسن التدبير، خذ بأيدينا إليك دلنا بك عليك لا تقطعنا عنك بقواطع الذنوب، لا تحجبنا بقبائح العيوب، يا غنيًا عن التفسير، يا من عليه العسير يسير يا من عليه العسير يسير يا من عليه العسير يسير يسّر علينا أمورنا، يا أكرم الأكرمين، اللهم ضاقت السبل، اللهم ضاقت السبل، اللهم ضاقت السبل وانقطع الرجاء إلا منك يا أرحم الراحمين فافتح علينا فتحًا مبينًا سميعًا سريعًا سريعًا عاجلًا عاجلًا عاجلًا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعن عبادك الضعفاء، يأكلون أوراق الشجر اللهم الأطفال لا يجدون حليبهم نسألك اللهم يا ربي وأنت ربهم أن تغيثهم بغوثك وأن تعينهم بعونك وأن تعطيهم من عطائك وأن تفيض عليهم من فيضك وأن تلطف بهم بلطفك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا رب العالمين يا خالق الخلق يا مدبر الأمر يا مالك الملك، اللهم أنت مالك الملك ولا مالك للملك سواك نسألك اللهم أن تجعل لنا فرجًا قريبًا عاجلًا يا أكرم الأكرمين، مما يعانيه إخواننا في الشام فرّج همومهم، ونفّس كروبهم اللهم أفض عليهم من فيض بركاتك يا أرحم الراحمين، وأغثهم بعونك يا أكرم الأكرمين إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير مولانا رب العالمين، اغفر اللهم لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا إنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، وصلّ وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الأحبة الكرام، أحياكم الله لكل عام، بخير، وبر، وبركة، ورحمة، وعطاء، ومغفرة، وستر، وفرج، ونصر، وعز، وتمكين يا رب، يا رب، أنت الله لا رب لنا إلا أنت نسألك ربنا أن تجعل لنا في هذه الدنيا حياةً طيبة بالإيمان عميقةً بالإحسان اللهم يا رب، منّ علينا بما تمن به على عبادك المقربين، اللهم اجعلنا من الراضين بقضائك وقدرك، ومن المؤمنين بحكمتك، ومن الآخذين بلطف رحمتك، يا أرحم الراحمين، يا أيها الأحبة الكرام إذا اشتد الكرب، فاعلموا بأن الفرج يقرب، واعلموا أنها سنة الله تعالى في خلقه، في التغيير في أمتنا، فأمتنا بحاجةٍ إلى تغيير، وربنا سبحانه وتعالى هو الحكيم، هو يغير في عباده بمصالحهم، لأن الله تعالى أرحم بعباده من أنفسهم فالله ولي الذين آمنوا، فهو وليهم سبحانه وتعالى، فلما كان الله تعالى ولي الذين آمنوا، فإذن إنما يجعله الله تعالى من ابتلاءات في هذه الأمة إنما هي لصياغتها، سواءٌ كان هذا الابتلاء بالعطاء الذي هو شكر، أو بالعطاء الذي هو صبر، فكلاهما عطاء، عطاء بالصبر يصوغ الله تعالى من خلاله أمة تتحمل أمر قضيتها، وهمّة عملها، واستقامة شأنها، وكذلك درّب الله تعالى أنبياءه، وكذلك أخرج الله رسله، ورسله أشد الناس بلاء، فالأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، الله سبحانه وتعالى قد قال لكم: ﴿والسّماء ذات البروج ۝ واليوم الموعود ۝ وشاهدٍ ومشهودٍ ۝ قتل أصحاب الأخدود﴾. قتل أصحاب الأخدود لا بإثم ارتكبوه، ولا لسيئة فعلوها، ولا لجريمة اقترفوها، إنما لأنهم قالوا: ربنا الله، ما كان من جريمة فعلوها إلا أنهم لم يسجدوا لذلك الأثيم الذي أراد أن يكون مدعيًا أنه رب الأرباب، وهو عبد من عباد الله، إذا شاء الله أخذه في لحظة من اللحظات، ولكنّ الله تعالى إنما يجسد لنا ذلك كله لأجل أن تمرن منا الإرادة، ولأجل أن تسطو منا الهمة، ولأجل أن تقوى فينا العزيمة، كذلك يجعل الله تعالى في عباده عبادًا لا يمكن أن يكون عندهم تخاذل في موقف، وخاصةً إذا ما جاءت الأزمات فاستحكمت، الأزمات مستحكمةٌ، وننظر في عالم الأسباب فنرى بأنها قد سدّت، فليس من عالم الأسباب باب يمكن أن نلجه، وكأن هناك غمامة سوداء لا نستطيع من خلالها معرفة الدرب، ولكن لنا ربٌ هو دربنا، فالله تعالى هو دربنا، والله تعالى هو طريقنا، والله تعالى هو مقصدنا، والله تعالى هو الذي يفرج عنا، فلذلك لما علمت أن الله تعالى قد قال: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلّا الله﴾. فاعلم أنه لا إله إلا الله، إذا علمت هذا العلم في قلبك، في عقلك، في شعورك، في إحساسك، في يقينك، في حركتك، في استقامتك، اعلم أنه لا إله إلا الله، هكذا يقول الله تعالى لحبيبه الأعظم ﷺ: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلّا الله﴾. يعني إذا ما استحكمت الخطوب، وإذا ما ازدادت الكروب، فاعلم بأنه لا إله إلا الله، ولذلك النبي ﷺ استحكم الأمر عليه، والقريتان قد سدتا في وجهه، يعني أن الكوكب الأرضي بالنسبة له في تلك اللحظات قد سدت، فليس أمامه من مكان يسعى إليه، لا مكة تستقبله ولا الطائف تأخذه، هؤلاء أعرضوا عنه، وهؤلاء رجموه بالحجارة، ومع ذلك ﷺ، لما كان يعلم أنه لا إله إلا الله، إلى أين طرق؟ طرق ذلك الباب: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، أنت ربي" كل هذا العطاء الذي أفاضه الله تعالى على حبيبنا محمد ﷺ إنما كان سنة ينبغي أن نقتدي بها، ولما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إنما هو القدوة التي نقتدي بها، ﷺ ربنا جعله أسوةً لنا ﴿لّقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لّمن كان يرجو الله﴾. لمن علم أنه لا إله إلا الله ﴿لّمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾. وخاصةً إذا ما استحكمت الخطوب عليه، فإنه يقول: لا إله إلا الله.

سيدنا عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، أما كانت الملائكة تؤنسه وتسلّم عليه بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام، لما كان معه مرض البواسير رضي الله تعالى عنه، فكانت الملائكة تأتي فتؤنسه وتسلم عليه، فلما اكتوى رضي الله تعالى عنه، قطعت الملائكة المدد على قدر الابتلاء، المدد على قدر الابتلاء، لذلك الله سبحانه وتعالى يعطي أهل المدد شيئًا عجيبًا يعطيهم، كما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام، لما كان هناك في ذلك الحال وقد ألقي في النار، ماذا قال له جبريل؟ قال: سل ربك يا إبراهيم يا خليل الرحمن. قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي. أنا عارف بأنه الله، وأنه يراني فيما أنا فيه، وأنا نفذت ما أمرني به، فلن يتركني أبدًا، لذلك الله سبحانه وتعالى، ماذا قال للنار؟ وهي عبدة من عباد الله، فسيدنا إبراهيم عبد من عباد الله، والنار عبدة من عباد الله، والنمرود عبد من عباد الله تعالى، قال: ﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم﴾. فكانت بردًا وسلامًا، النار لا تكون بردًا وسلامًا النار تكون إحراقًا، لذلك لما تأتي المصائب، قد تأتي المصائب فتجوهر القلوب، وتهيئها لعلام الغيوب، كذلك المصائب نحن نعلم بأنها مصائب، وقد يقول قائل: أنت الآن عم تهون علينا الموت؟ أنت عم تحلي لنا المرارة؟ لا يا سيدي والله لا أحلي مرارة، ولا أهوّن عليك موتًا، لكنه قدر، قدر إما أن أستقبله بحال إيمانٍ يزدهي به قلبي، وتطمئن به نفسي، أذكر الله تعالى، وكما قال لي ربي، وأنا بذلك مؤمن: ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾. فبهذا الذكر تطمئن القلوب، فإذا اطمأن قلبك بذكر ربك، فاعلم بأن الله تعالى سيعطيك، سيعطيك مددًا من عنده، لذلك الله تعالى جعل لسيدنا يوسف القصة الطويلة الجميلة إلى أن يقول: ﴿إنّه من يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾. الله أكبر، لا يضيع أجر، من يتقي ويصبر، قبل الصبر، تقوى، حتى لا يكون صبر أولئك اليائسين، أو صبر المحبطين، في هناك صابرون محبطون، ليسوا آخذين بالصبر

إيمانًا، وليسوا آخذين بالصبر حكمة ربانية، الصبر بحاجة إلى حكمة ربانية، بمعنى أني أصبر على هذا القدر إنما جاء لحكمة، وأن الحكيم أجراه، أجراه عليّ، وأن الله تعالى ما أجراه عليّ إلا لمحبته لي، فلذلك إنما أنظر إلى هذا بهذه النظرة، فيتجلى الله عليّ بعالم الرضوان، ولذلك سيدنا يوسف عليه السلام كان يتقلب في عالم الرضا، وهو ابن الأنبياء، ابن سلالة الأنبياء، ابن سيدنا يعقوب، يعقوب ابن من؟ ابن سيدنا إسحاق، إسحاق ابن من؟ ابن سيدنا إبراهيم، كريم ابن كريم ابن كريم عليهم السلام، ومع ذلك يتقلب في هذه النعمة، نعمة الابتلاء التي يعني ليس من بعدها من بلية، بلية كبيرة كانت على سيدنا إبراهيم، أليس من بلية كبرى على حبيبنا الأعظم ﷺ يوم تتهم زوجه أم المؤمنين؟ بنت الصدّيق الصدّيقة، الحصان، الرزان، العفيفة، الشريفة، العالمة، رضي الله تعالى عنها، تلك السيدة الجليلة العظيمة، وتلك الفتاة الصغيرة، فتاة يعني ثمان عشرة سنة، تسعة عشر سنة، ستة عشر سنة، على خلاف الروايات في العمر، لكن هذه السيدة العظيمة تبتلى في عرضها، في شرفها، رضي الله تعالى عنها وأرضاها، وهي من؟ زوج حبيبنا الأعظم، هي من؟ هي أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، والله ماذا يقول لكم؟ ﴿لا تحسبوه شرًّا لّكم ۖ بل هو خيرٌ لّكم﴾. لا تحسبوه شرًا لكم، كيف ما هو شر أكثر من هذه المصيبة؟ ليس شرًا، كشف الله تعالى به خداع المخادعين، ونفاق المنافقين، وضعف همة بعض المؤمنين الذين يعطون آذانهم للمنافقين، وخاصةً في أيام المحن، اليوم أيام محن، والآذان اليوم عنا أبواق إعلامية يمكن أن تفتت أذهان الناس، لذلك ﴿لا تحسبوه شرًّا لّكم ۖ بل هو خيرٌ لّكم﴾. ذلك اللسان الإعلامي الناهض الذي دافع عن رسول الله ﷺ، والذي قال رسول الله ﷺ له: "أهجهم وروح القدس معك" حسان بن ثابت أعطى أذنه إلى قالة المنافقين، فقال في السيدة عائشة، وجلد رضي الله تعالى عنه، فأرجو أن نتنبه أن ما أجراه الله تعالى من الأحداث، إنما لأجل أن تكون هذه الأحداث تربية لنا في الأزمات، فهذه أزمات خطيرةٌ تحيط بأمتنا، ينبغي أن يكون لها تنبهٌ خطير أمامها، دون أن يكون عندنا أي ارتجاج في التفكير، أو أي اختلال في الموازين، لأننا أمام هذه الأزمات قد يأتي الإنسان فيستسلم لما يقوله أولئك المنافقون، أما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ماذا استفدنا منك؟ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، ماذا استفدنا منك؟ كنا نحن قبل ما تأتينا معذبين ومعثّرين، وبعد ما جئتنا زاد العذاب، وزادت القضية، وقبل ما تأتينا كنا جالسين، وهادئين، مستقرين، وآمنين، ولما جئتنا استفززتنا من الأرض، وتوبعنا، وصرنا ملاحقين، أليس كذلك؟ القرآن يذكر لكم ذلك، لماذا؟ لأجل أن يكون عندكم ثبات على الإيمان، ثبات على الإيمان، على اليقين، اقرأوا القرآن لأجل أن تأخذوا منه منهجيته، يعني كنا الآن في درس، كان معنا الشيخ هاني، ربنا يقول في سورة النساء: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا خذوا حذركم﴾. خذوا حذركم، وهذه الأمة قصرت فيه، قصرت ما أخذت حذرها، ما معنى خذوا حذركم؟ يعني دبّروا أمركم باستراتيجية، ضعوا خططكم، إياكم أن تنفعلوا انفعالات فحسب، وتكون عندكم ردود الأفعال، عليكم أن تكونوا فاعلين لا منفعلين، عليكم أن تكونوا صانعين للحدث، ولستم أنتم صدًى له، أنتم الفاعلون فيه، خذوا حذركم، خذوا تخطيطكم، خذوا دراساتكم، خذوا حذركم، ثم قال: ﴿فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعًا﴾. فانفروا ثباتٍ، هذه الفاء نسميها في العربية فاء الترتيب مع التعقيب، أي بعد أن تكون التخطيطات والدراسات، وبعد أن يكون استجماع الفكر، وبعد أن يكون أهل النظر والتحليل، وبعد أن تسأل الخبراء ﴿فاسأل به خبيرًا﴾. بعد ذلك عليك أن تتحرك بالحركة الفاعلة، دون أن يكون الأمر التنظيري هو الذي يحيط بك فحسب، بعد أن درست وخططت ومحصت، وجعلت الخطط الاستراتيجية، عليك أن تنفر، لكن ضمن الخطاب ﴿فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعًا﴾. هي ثبات ما هي ثباتٍ، هل هي ثبات؟ ثباتا، هذه ثبات أصلها جمع، هي جمع لكلمة ثبا، و ثبا أصلها ثبية، فعلة أصل ثبية فعلة، ولكن حذفت اللام فصار وزن ثبا فعا، شو بدكم هذه فيها، فالحاصل ثبا تجمع على ثبات، جمع مؤنث ملحق، هذا جمع مؤنث، ثبا ثبات، فانفروا فرقاً على حسب مقتضى الحذر ﴿يا أيّها الّذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعًا﴾. المخطط ماذا يقول؟ ردود أفعال، مو كل واحد يقول: والله أنا قائد المعركة، ولا واحد يقول والله أنا أمير القضية لا ﴿فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعًا﴾. يعني جعل أو للتخيير على حسب مقتضى التخطيط ﴿فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعًا﴾. وهذا النفر ليس فحسب النفر، يقتضي أن النفر إنما يأتي من النفار، والنفور، والنفار، والنفور، إنما يكون نفر ينفر أو نفر ينفر، على خلاف عند المحللين اللغويين، النفر إنما يكون استفزاز، عمل استفزازي، انفروا، يعني فيه هناك عمل استفزازي يستنهض الهمم، النفر مقتضاه الاستنهاض، القرآن يقول لك: انفروا، أي استنهضوا هممكم، إياكم أن يتمكن منكم كسل، لذلك النبي ﷺ استعاذ من العجز والكسل، وسيدنا عمر تعجب من عجز الثقة، ومن جلد الفاجر، جلد الفاجر، إني لأعجب من جلد الفاجر، وعجز الثقة، أما ترون ذلك الفاجر اللئيم الخبيث الزنيم، يفعل كل هذه الأفاعيل بجلد، والمؤمن الثقة يكون عاجزًا، والله إنه لأمر عجب، أن يكون ذلك الفاجر، اللئيم، الخسيس، الخبيث، المجرم، يفعل هذا كله مع جلد وإصرار، والمؤمن الثقة يكون عاجزًا؟ لا وربك، ينبغي أن يكون فاعلًا، لذلك النبي ﷺ قال: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل" عجز وكسل، ففي عملية استفزاز انفروا ﴿فلولا نفر من كلّ فرقةٍ مّنهم طائفةٌ لّيتفقّهوا في

الدّين ولينذروا قومهم﴾. هذا نفرٌ، وهذا نفر، هذا نفار، وهذا نفار، هذا نفار اللسان، وهذا نفار السنان، كلاهما سماهما القرآن نفرا، لاحظتم؟ فإذن النفر للسنان نفر، والنفر للسان نفر ﴿فلولا نفر من كلّ فرقةٍ مّنهم طائفةٌ﴾. لأن هؤلاء الذين يفهمون باللسان غير أولئك الذين يفهمون بالسنان، فالذي يفهم بالسنان قد يتعطل منه اللسان، ويتعطل منه فهم الأحكام، فلا بد من ضوابط تضبط، لذلك قلنا في الأصل إنه والله خذوا حذركم، هؤلاء الذين يأخذون الحذر، الذين نفّروا طائفةً منهم لأجل أن تدرس القضية، لتتفقه في الدين، بعد ذلك طلع التخطيط، بعد ذلك تقول والله انفروا فرقًا ثباتٍ انفروا جميعًا، فتقرأ القرآن أنت بهذا المعنى تجد بأنك في حينك الذي تحيا فيه بأننا نحن غبنا عن هذه المعاني، قرأنا هذه الآيات أما قرأنا هذه الآيات سابقًا؟ لكن ربما لم يكن وقع هذه الآيات في قلوبنا، في عقولنا، في وعينا، في إدراكنا، في تفكيرنا، في تصميمنا، في اختراقنا للأحداث، مثل ما نقرأها الآن بالحدث الذي يجري ليدرّب إراداتنا، الآن تقرأ القرآن، أنت كما قلت، الآيات التي ذكرها قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾. كم قرأتموها، قرأتموها في ختمات كثيرة، أليس كذلك؟ لكن ربما لم تستشعر هذا المعنى الذي قام عند أولئك كما استشعرته الآن، وكأنك تقول يا ليت الذي جرى لم يجري، يا سيدي أجراه الله لحكمةٍ شاءها سبحانه، وأنت هل ترد الحكمة التي يجريها الله سبحانه وتعالى؟ استفد من الحكمة لأجل أن تكون صاحب العزيمة، صاحب الإرادة، صاحب الخطة، صاحب التعاون، وربنا تعالى يقول: ﴿وتعاونوا على البرّ والتّقوىٰ ۖ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾. إذن نتعاون أمام أحداثٍ تحيط بنا، أما أن يأتي لأجل أن يكون هناك، كما تتمة الآيات: ﴿إنّ منكم لمن لّيبطّئنّ﴾، تتمة الآية: ﴿إنّ منكم لمن لّيبطّئنّ﴾. تمام؟ هذا منكم من لا يبطئن كما يقول القرآن، إما أن يكون هو ﴿إنّ منكم لمن لّيبطّئنّ﴾. همته وعزيمته، ويتقاصر عن أداء المهمة، لأجل أن يقول: فليذهب الناس وأنا في أمان، أو أنه يقوم بنفسه بذلك، ويعمل مع غيره بذلك، فيكون طابور، ما يكفي أنه هو المتكاسل، المتراخي عن أداء المهمات، بل أيضًا يكون هو قائماً بتخذيل الأمة عن القيام بالمهمات ﴿إنّ منكم لمن لّيبطّئنّ﴾. ثم ماذا؟ ﴿فإن أصابتكم مّصيبةٌ قال﴾. قال مؤمن الرجال مفكر ﴿قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن مّعهم شهيدًا﴾. أنا يا أخي قرأت الأحداث، أنا بعرف اقرأ الأحداث، هؤلاء جماعة يا أخي ﴿أنعم الله عليّ﴾. وأتاها بالإيمان، وأن الله أعطاني من الفكر، ومن العقل، ومن الإدراك، ومن الوعي، ومن التخطيط، ومن الإحاطة بالأحداث إذ لم أكن معهم شهيدا، لكن هو واقف رجل هنا ورجل هناك، بعدين؟ ﴿ولئن أصابكم فضلٌ مّن الله ليقولنّ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾. لكن مشان ماذا؟ لأن هؤلاء وصلوا وأخذوا الثمرة، فلو كنت أنا معهم، وتظاهرت بأنني من أول القادة، لابتلعت كل هالمناصب، وأخذت كل الثروات، فإذن فإنما يدور حول ذاته هنا وهناك، وأما أمته فلا علاقة له بها، ألا تجدون أناسًا اليوم يحيون هذه الحياة، ولا يهمهم إلا ذواتهم، ولا يدرون إلا مع أنفسهم؟ أليس القرآن قد أبان ذلك وأوضحه، وقال انظروا يا أيها الناس ماذا يجري فيكم، هكذا الآيات يا أخي، الآيات تقول لك انظر يا أيها المؤمن التقي النقي العاقل الواعي، بأن قضية الإيمان تحتاج إلى أمةٍ فاعلة لا منفعلة، إلى أمةٍ قادرة على أن تخطط لنفسها، غبنا زماناً، غيّبنا زمانًا، أيًا كان استيقظنا، فإذا ما استيقظ الإنسان، فعليه في حال يقظته أن يكون فاعلًا، وأن يكون مصممًا على أن يبلغ الهدف، ومن كان مصممًا على بلوغ الهدف، وهدفه ما هو؟ رضوان الله تعالى، فاللهم إنا نسألك أن ترضى عنا، وأن ترضينا بفضلك، وأن تجعل لنا طريقًا إنما نروده لأجل أن يكون في مبتغاك ورضاك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

نعود أدراجنا إلى ما كنا عليه في أحاديثنا التي كنا نسوقها ونتحدث عنها، فتحدثنا عن الباب الخامس في حد الزنا، وقد ذكرنا الحديث الأول فيما أحسب، صحيح الأول والثاني كذلك؟ وصلنا عند المرأة، عن سهل؟ نعم، قرأنا هذا سهل؟ حديث سهل قرأناه؟ طيب، إذن عن زيد بن خالد الجهني؟

فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن، جلد مئة وتغريب عام" رواه البخاري والنسائي. إذن هنا النبي ﷺ يحدد لنا كما ذكرت لكم فيما سبق، بأن الحدود كما سماها فقهاؤنا من خلال وعيهم وإدراكهم لمرامي الإسلام ومقاصده، ولأجل غاياته وأبعاده، ماذا كانوا يقولون؟ يقولون الحدود زواجر وجوابر، الحدود زواجر وجوابر، أي أن الحدود لم تأت لأجل الانتقام، ولا لشفاء الصدر، ولا لأجل أن يكون هناك تغيظ في القلب، بقدر ما أن الحد يأتي للتربية، وإذا ما استطعنا أن ندرأ الحد بالشبهة التي تحيط به، فنأتي بما يبعد الحد المؤلم، بالشبهة التي نستطيع من خلالها إدخال هذا الإنسان في نفق التربية، إذن ليس المقصود هو الحد بذاته، بقدر ما أن المقصود هو أن تستيقظ نفوس أولئك الذين ضعفت إراداتهم في لحظةٍ من لحظات الضعف الإنساني، لذلك يقول النبي ﷺ: "ادرؤوا الحدود بالشبهات" لماذا؟ لأنه ليس المقصود هو أن أقيم الحد، إنما المقصود هو أن أربي هذا العبد، التربية هي المقصودة، فإذا حصلت في الشبهة، فأكون قد درأت الحد، وإذا لم يكن ذلك، بمعنى أنه أحد أمرين، لأن

قلنا الحد لا يقام إلا بأحد أمرين، إما بالاعتراف والإقرار، أو بالشهود، فإذا لم يكن شهود، فبقي الإقرار، الإقرار ماذا فعل فيه النبي ﷺ؟ دعا صاحب الذنب ألا يقرّ، ودفعه وعلّمه أن حاول أن تتهرب من إقرارك بأمرٍ آخر، وتب إلى الله، فباب التوبة مفتوح، طالما أنه جاء في قلبك أنك مذنب، "فلو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم" هكذا قال ﷺ، لأنكم خلقتم أنتم ضعافًا، وعندكم مثل هذه النزوات التي قد تسيطر عليكم في لحظات ضعفكم، فإذا استيقظتم بإيمانكم ورجعتم إلى ربكم، وبينكم وبين ربكم تبتم، ولم يكن عندكم نقص لحق أحدٍ من الناس، إذا كانت القضية ليست سرقة مال، كما قلنا والعياذ بالله فعل فاحشةً وستره الله سبحانه وتعالى، وسترا نفسيهما، فهل يجب عليهما أن يقرّا؟ لا يجب عليهما، بل النبي ﷺ ماذا فعل؟ إنما كما سردت معنا الأحاديث: لعلك، لعلك، لعلك.

إذن الذين يفهمون بأننا بمجرد أن نتولى أمر دولة لنقيم حكم الإسلام فيها، أن نأتي بهذه آلة الجلد لنجلد، وبالسيف نقطع الرقاب، وبالسكين نقطع الأيدي، ليس القصد هكذا، الأصل عكس ذلك، الأصل أننا علينا أن ندرأ الحدود بالشبهات، ما لم يقم أمرٌ واضحٌ صريح، فيه شهودٌ، أو فيه معاينةٌ من هذا الإنسان، طبعًا الشهود كيف يمكن أن يشهدوا؟ إذا عالن هذا الإنسان بذنبه، لا يمكن أن يعرفوا أنه أذنب هذا الذنب إلا إذا كان قد عالن بذنبه، وأوضحه أمام الناس، أما إذا كان مستورًا فلن يكون هذا الأمر إلا باعترافه، وحتى باعترافه قلت بأن الأصل هو أن يتوب بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ويفعل من الخيرات ما يجعل الله له سبيلًا إن شاء الله إلى التوبة التي جعلها الله تعالى مفتاحًا لفعالية الإيجاب، لأن التوبة إيجابية، فَعل هذا السلب؛ ففتح الله له باب الإيجاب، باب الإيجاب هو باب التوبة، وباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، ومفتوح للإنسان قبل أن تقوم قيامته، وقيامته حين تبلغ روحه حلقومه، وباب التوبة لعبيد الله جميعًا إلى إيه؟ يوم القيامة، فمفتوح باب التوبة، إذن عندما قال النبي ﷺ هنا: "يأمر فيمن زنا ولم يحصن" وجعل النبي ﷺ قضية الحد مختلفة بين المحصَن وغير المحصن، والمقصود بالمحصن هو المتزوج، وغير المحصن هو غير المتزوج، لاحظنا؟ يعني واحد غير متزوج، شاب ضعفت إرادته، كلاهما له نفس الذنب، لكن لا يكون عليه الحد على مستوى واحد، فحد المحصن الرجم، وحد غير المحصن الجلد، فلذلك قال النبي ﷺ: "يأمر فيمن زنى ولم يحصِن -أي لم يتزوج- ولم يُحصَن -أي لم يزوَّج- جلد مئةٍ وتغريب عام" وهذا التغريب ما هو انتقام، ما هو عقوبة، تربية، هو عبارة عن نقل هذا الإنسان من البيئة التي دفعت به إلى هذا المستوى من الانحراف، فلما نفكر بأن القضية قضية السجون، أو قضية الإبعاد، أو قضية الإقصاء، ليست قضية انتقام، إنما هي قضية تربية وتوجيه، إذ المفروض للأمة أن تتصور أن هذا الإنسان ارتكب الموبقة، لماذا؟ يعني كأنها ينبغي عليها أن تدرس الظروف التي دعت هذا الشاب أن يرتكب هذه الموبقة، لماذا ارتكبها؟ لأنه كان في بيئة أحاطت به، وكان فيها شيء من الملهيات، وكان فيها شيء من العبثيات، وكان وكان وكان... إذن ساعدته، آزرته، بعثت فيه مثل ذلك، علينا أن ننقذه من هذا المكان، صحيح أننا جلدناه مئة جلدة، ولكن أخذناه لنروّض فيه إرادة الخيرات، ونبتعث فيه هذه الإشراقات، في تلك البيئة النظيفة الطاهرة، ونطهّر البيئة التي دفعته إلى ذلك، إذن هي عملية إصلاحية وليست عملية انتقامية، لذلك أصعب شيء أننا حين نصدّر الحدود في الإسلام، لا نصدرها بهذا الوعي، نصدرها لماذا؟ بقضية الانتقام، والضرب، والقتل، والتشريد، والتعذيب، ويعني أن تكفهر الوجوه، النبي ﷺ طبّق الحدود وعيناه تذرفان ﷺ، ما طبّق الحدود ووجهه متجهم ويريد أن ينتقم إطلاقًا، لا وربكم ما فعل ذلك، بل قال عن هؤلاء الذين عُذِّبوا رضي الله تعالى عنهم بهذا الرجل، ماذا قال؟ "والله إنها تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لكفتهم" إذن موضوع الحدود لما تقرؤونها بمثل هذا الإطار والفهم، نفهم الحدود في الإسلام، ونتقدم بها للمجتمع الإنساني على أنها حقوق إنسان، ما عندنا خجل فيها، الآن نحن نخجل، أي والله يا أخي قطع يد السارق، ما تقطع يد السارق إلا إذا كان هناك سيأتينا إن شاء الله حد السرقة، في هناك ألف قضية حتى تثبت أنه سارق، في عندنا شبهات تصرف ذلك، ما تكون هذه القضية إلا إذا ثبت الأمر ثبوتًا ليس علينا على الإطلاق مجال أن ننفيه، أما إذا كان هناك شبهة، فالشبهة تنفي إقامة الحد، إذن الحد يقام كما قلنا إما بالمعالنة، فهذا إنسان يعالن في مجتمع يريد أن يفتري عليه هذا الافتراء الكبير، إذن لا بد من أن يأخذ الحق مجراه، وأن تقيم العدالة أمرها، وأن يظهر أمر الحد في هذا الإطار السليم، ثم بعد ذلك نأخذ به برأفة، وحنان، ولطف، وتربية، وباب توبة الله تعالى مفتوح له، لذلك هذا في الحديث الأول.

الحديث الثاني، إذن هذا كما قلنا في موضوع تغريب العبد، الحديث الثاني: وعنه، أنّ رجلًا أعرابيًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، هنا أنشدك الله يعني أن هذا كان بدويّ، ومن بدى جفى، العلم يعلّم الإنسان التهذيب في الطباع، ويعلّمه الرقة في الألفاظ، ويعلّمه الدأب في المشاعر، فلا يكون عنده ألفاظ خادشة جارحة، واحد يأتي للرسول ﷺ أنشدك الله، والمقصود بالنشد إنما هو الصوت قولوا نشيد، أليس كذلك؟ يعني أنشدك

الله، تنشدني الله أنت يعني، وهل أحكم بغير ما أنزل الله؟ فأنا أحكم بما أنزل الله، فتأتي للرسول ﷺ ترجوه تسأله، وليس أن تقول أنشدك الله، ولكن هو هكذا طبعه في باديته، لذلك لا ينبغي لمن أكرمه الله تعالى فانتقل من البداوة إلى الحضر، أن يعود إلى البداوة، يعني من أكرمه الله بالتطور إلى الأحسن، لا ينبغي له أن يعود إلى ما كان عليه من حالٍ أقل نعم، ولذلك قلت لكم إن هذا الرجل قال: أنشدك الله، والنشيد هو رفع الصوت، وكلمة النشيد تعني رفع الصوت، كما في النشيد الوطني الذي ترفع فيه الصوت، ثم قال الرجل: أنشدك الله إلّا قضيت لي بكتاب الله، وهل يمكن أن يقضي رسول الله ﷺ بغير ما في كتاب الله؟ فقال الخصم وهو حضري يبدو، وهو أفقه منه، فقال الخصم وهو أفقه منه: نعم، فاقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي، فأذن له رسول الله ﷺ. قال: إنّ ابني كان عسيفًا على هذا، العسيف الأجير، كان أجيرًا عند هذا الرجل، والعياذ بالله فزنى بامرأته، وإني أُخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمئة شاة ووليدة، أنا والله علمت هذا الحدث والعياذ بالله، أن هذا ابني كان يعمل عند هذا الإنسان والعياذ بالله فعل الفاحشة مع زوجته، جئت ألمّ الموضوع، وأجتهد في الموضوع، فقدمت أنا مئة شاة، أعطيت هذا الرجل مئة شاة ووليدة، رقيقة، مئة شاة ورقيقة، وسألت أهل العلم فقيه، فأخبروني أنّما على ابني جلد مئة، وتغريب عام، وأنّ على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ بقى شايف هذا الإنسان الواعي، والذي كان فقيه، تحدّث بالحدث بكل هدوء وسكينة، وذكر للنبي ﷺ ما الذي جرى، وما الذي تصرف به، وهو راح لعند أهل العلم، قال له أهل الخبرة والعلم، لا يعني من الصحابة، أنت يا أخي أخطأت، ليس هذا هو الحكم، اذهب إلى رسول الله ﷺ حتى يخبرك بما هو الحكم، فجئت إليك، مو رايح يقول له أنشدك الله، وجاي يعني بهذا الصوت العالي، فقال له النبي ﷺ: "لأقضينّ بينكما بكتاب الله، طيب الوليدة والغنم رد" هذا الذي تصرفت به يا أيها الرجل ليس هو الحكم الشرعي رد خذ غنمك ووليدتك وعلى ابنك جلد مئة -كان غير محصن- وتغريب عام، طيب لسا ما انتهت القضية، في هذا الرجل اللي قال أنشدك الله، قال: واغد يا أنيس رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الصحابي سيدنا أنيس ابن الضحاك الأسلمي، واغدُ يا أنيس، أنيس ابن الضحاك الأسلمي إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها، فغدى عليها، فاعترفت، فرجمها" رواه الخمسة.

إذن النبي ﷺ صلح الوضع، الوضع هذا الشاب فعل هذه الفعلة وهو مقرّ بذلك، عليه جلد وتغريب عام، والمرأة أرسل الرسول ﷺ لها من يسألها، وهنا يفهم الإمام النووي، يقول كلامًا أذكره لكم بما قاله، وهو كلام لطيف جدًا وعظيم وفقيه، يقول الإمام النووي في شرحه عن صحيح مسلم: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيعرّفها بأن لها عنده حد القذف، شايفين كيف؟ يعني هذا سيدنا أنيس أرسله الرسول ﷺ مو ليقيم الحد، أرسله ليقول لها: شوفي يا أيتها المرأة، هذا رجل قذفك، فأنتِ لك الحق أن تنكري ذلك، فإذا أنكرت ذلك، ماذا يعتبر هذا الرجل الذي ادعى الدعوى؟ قاذفًا، حد القذف ثمانون جلدة، يحد حد القذف، فأنت لك حق، شايفين الحدود في الإسلام كيف؟ شايفين الحدود في الإسلام كيف يا شباب؟ يا ناس شايفين الحدود في الإسلام كيف؟ هكذا كانت الحدود في الإسلام، ليس الأمر هو أن آتي بها مجرد أن يكون عندي شبهة، أو عندي مجرد أمر يعني ذكره الناس، يا أخي والعياذ بالله هذا فلان كذا، هذا فلان كذا، لا، لا، لا. اذهب يا أنيس عرّفها أن هؤلاء الناس عم يتعرضوا لها في عرضها، فإذا ما أنكرت ذلك، فهؤلاء الذين ذكروا عنها ذلك فهؤلاء الذين يذكروا عنها ذلك يعتبرون قاذفين، وإذا ما اعتبروا قاذفين أقيم عليهم حد القذف، فتطالب به أو تعفو عنهم، إلا إذا تعترف بالزنا، فإذا اعترفت، فيقام الحد عليها، فلا يجب حد القذف على من قال، بل يقام الحد عليها والرجم باعتبار أنها كانت محصنة رضي الله تعالى عنها أي نعم، وليس الأمر أنه بعثه لإقامة حد الزنا، ما بعثه ليقيم حد الزنا، بعثه ليسألها، شايفين كيف؟ نعم "ادرؤوا الحدود بالشبهات" انتبهتوا للقضايا يا شباب؟ "ادرؤوا الحدود بالشبهات" أي نعم، وهذا غير مراد، لأن حد الزنا، اسمعوا كلام الإمام النووي: لأن حد الزنا لا يُحتاج له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقر الزاني استُحِبَّ أن يلقّن الرجوع، أعيد الكلام كلام الإمام النووي أعيد، افتحوا آذانكم وعقولكم، يقول الإمام النووي: وهذا غير مراد، يعني ليه يبعث النبي عليه الصلاة والسلام سيدنا أنيس لأجل أن يفتك بالمرأة، ورايح يعني حامل السيف، وحامل العصا، وحامل الحجارة، ويريد... لا، لا، بعثه لينقذها، لاحظتم؟ بعثه لينقذها، لاحظتم؟ طيب، قال: وهذا غير مراد، لأن حد الزنا لا يُحتاج إليه التجسس والتفتيش عنه، بل لو أقرّ الزاني، النبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال؟ "فهلّا سترتهما بثوبك؟" الله أكبر "فهلّا سترتهما بثوبك؟" هكذا قال النبي ﷺ. ﷺ، لما جاء سيدنا ماعز واعترف أمام، قال له أنت لو رأيتهما، كان عليك ماذا تفعل؟ استرهما بثوبك وادعوهما إلى التوبة، يعني النبي ﷺ يدعو الزاني أن يتوب، ويدعو من رأى أن لا ينشر الفضائح بين الناس يا أخي "مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة" ومن منا ليس بضعيف؟ ما أحد يحتج بنفسه ويترفع، كلّ منا ضعيف، والله أعلم بسرائر النفوس.

فاللهم استرنا بسترك الجميل، واغفر لنا يا ربنا القبيح، وأظهر منا الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين

هذه الأخلاقيات هي التي ينبغي أن تكون على أحكام الفقه، ففي قوانين فقهية نعم، لكن هذه القوانين الفقهية محاطة بهذه الحكمة، بهذه الأخلاقيات، فلما تأتي الأخلاقيات تأتي أنت لتفهم أحكام شريعة الإسلام، فيقول سيدنا الإمام النووي رضي الله تعالى عنه في الشريعة عن صحيح مسلم، هذا مو مكتوب عندكم، هذا عم أقرأه من عندي، أي نعم، فيقول: لأن حد الزنا لا يُحتاج له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقرّ الزاني استُحِبَّ أن يلقّن الرجوع، كما سبق، فحينئذ يتعين التأويل الذي ذكرناه، وهو أن النبي ﷺ ما أرسله لإقامة الحد، إنما أرسله لبيان حق المرأة في أن لها أن تقيم حد القذف على من ادعى عليها، من هنا يؤخذ أن على القاضي إذا قذف إنسان عنده أن يبعث إليه ليعرّفه بحقه بحد القذف، القاضي يعاون من؟ مو مجرد إجا والله فلان يلا جيبوا وكلبشوه، لا مو جيبوا كلبشوه، يبعث له القاضي تعال إلى هنا، يا أخي في ناس يدّعون هذه الدعاوى عليك، يعينه على إيه؟ على التوبة، لاحظت؟ ما لم يكن هناك حقوق، أو شهود، أو صكوك مالية، هذه قضية أخرى. نتحدث الآن عمن؟ في حد أعراض حد القذف، لذلك القرآن لما قال لنا عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: ﴿لا تحسبوه شرًّا لّكم ۖ بل هو خيرٌ لّكم﴾. حتى لا تلوث الألسنة، ولا تتعرض الأفواه إلى أعراض المسلمين بهذه العبثية، فهذا الحديث الثاني الذي يعني ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- وإن شاء الله يعني في الدرس القادم نتم بقية الأحاديث.

لأنه كل حديث تجدون كل حديث له روحانيته، له فحواه، لأنه ينطق بما لا ينطق عن الهوى ﷺ، فلما قال له: أنشدك الله، ولما جاء ذاك الذي هو أفقه اقضي بيننا بكتاب الله، فكان أفقه رضي الله تعالى عنه، وأخذنا هذه الأحكام من خلال هذا الحدث الذي جرى بين يدي رسول الله ﷺ، وهو رسولنا الأعظم وحبيبنا الأكرم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو الرحيم بنا صلى الله وسلم وبارك عليه، وهو أرحم بنا من أنفسنا وأولى بنا من أنفسنا ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

اللهم صلِّ وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.